المحاضرة الثانية

من محاضرات مدخل الى علم التفسير

مدرس المادة

م.م محمد قحطان عدنان

من آداب المفسر

من أهم الآداب التي ينبغي أن يستحضرها المفسر للقرآن الكريم ما يأتي:

الإخلاص والتفويض: أي إخلاص القصد عند تفسير القرآن الكريم، وتفويض المراد بآياته إلى الله عز وجل، وعدم الجزم بأن ما وصل إليه من معان هو مراد الله عز وجل من كلامه قطعا.

التجرد عن الهوى: بأن يكون قصد المفسر هو بيان معاني آيات القرآن الكريم، لا مجرد اتباع هواه أو نصرة رأيه، أو مذهبه، أو الظهور على خصمه.

التأدب مع كلام الله عز وجل: بأن يوصف بصفات الكمال وينزه عن صفات النقص.

امتثال ما استنبطه من معان وأحكام: ليكون قدوة لغيره، فالغاية من تفسير القرآن الكريم امتثال معانيه وتطبيقها.

تحري الأقوال الصحيحة في تفسير الآيات، وعدم التجرؤ على تفسير القرآن الكريم بغير علم.

حسن النية وصحة المقصد .فإنما الأعمال بالنيات، والعلوم الشرعية أولى بأن يكون هدف صاحبها منها الخير العام، وأن يتطهر من أعراض الدنيا وأن ينتفع بالعمل ويخلص فيه.

أن أول ما يكشف عن سوء النية هو تضخيم رجالهم والحاكم الغالب .. بينما يرمون من تمسك بسنة النبي صلّى اللّه عليه وآله وسلّم في عترته وبالإمام علي عليه السّلام بالبدع والرفض والفرق والنحل ممن بذلوا الدماء للمحافظة على السنة الحقة، بينما

هم استرخوا كمرتزقة في بلاطات الحكام وسيأتي مفصلا قول الغزالي وابن الجوزي بفساد نوايا مرتزقة السلطان .

حسن الخلق .فالمفسر في موقف المؤدب، ولا تبلغ الآداب مبلغها في النفس إلا إذا كان المؤدب مثالا يحتذى في الخلق والفضيلة.

وأنّى لوعّاظ السلاطين من خلق وفضيلة يحتذى بها وهم يرتزقون السلطان في مقابل أعذارهم له وتبرير سياساته المنحرفة، في مقابل زهد علي عليه السّلام وسلمان وعمّار وأبي ذرّ والأفاضل من أهل بيت النبوة كالحسنين وزين العابدين وباقر العلم وصادقه عليهم السّلام .

الامتثال والعمل .فإن العلم يجد قبولا من العاملين أضعاف ما يجد من سمومعارفه ودقة مباحثه، وحسن السيرة يجعل المفسر قوة حسنة لما يقرره من مسائل الدين.

بل الامتثال والعمل الذي يراد به وجه اللّه تعالى ولا يخاف في ذلك ما دونه من الحكام أويطمح في عطائهم، بحيث يكثر من سوادهم- ضد أهل الحق، من المجاهدين لإعلاء كلمة الحق وعدم الانحراف عنه، إلى باطل البلاطات وارتزاقهم من أرباب نعمتهم من الحكام.

تحري الصدق والضبط في النقل .فلا يتكلم أو يكتب إلا عنه تثبت لما يرويه حتى يكون في مأمن من اللحن والتصحيف.

التواضع ولين الجانب .فالصلف العلمي حاجز حصين يحول بين العالم والانتفاع بعلمه. لا الطعن واللعن والسباب رجما بالغيب.

عزة النفس .فمن خلق العالم أن يترفع عن سفاسف الأمور ولا يغشى أعتاب الجاه والسلطان كالسائل التكفف.

الجهر بالحق .فأفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر.

حسن الصمت .لأنه يكسب المفسر وقارا وهيبة في مظهره العام وسلوكه بين الناس. لا من ظهرت عليه خلع وهدايا السلطان.

الأناة والروية . فلا يسرد الكلام سردا بل يفصله، ويبين عن مخارج حروفه. لا الاستعجال طمعا ورهبة .

تقديم من هو أولى منه .فلا يتعدى للتفسير بحضرة من هوأعلم منه ، وإن يجله ويوقره. بل سنجد أن هناك سرقات جهود، وكفران بالآخرين.

حسن الأعداد وطريقة الأداء .كأن يبدأ بذكر سبب النزول ثم معاني المفردات وشرح التراكيب وبيان وجوه البلاغة والإعراب الذي يتوقف عليه تحديد المعنى ، ثم يبني المعنى العام ويصله بالحياة العامة التي يعيشها الناس في عصره ، ثم يأتي إلى الاستنباط والأحكام. أما ذكر المناسبة والربط بين الآيات أولا وآخرا فذلك حسب ما يقتضيه النظم والسياق.

أقسام التفسير

ينقسم التفسير الى قسمين:

أ. من حيث فهم المعنى

ب. والتفسير بالمأثور

أ.من حيث فهم المعنى

ورد عن ابن عباس رضي الله عنه أن التفسير أربعة: "حلال وحرام لا يعذر أحد بجهالته، وتفسير تفسره العرب، وتفسير تفسره العلماء، ومتشابه لا يعلمه إلا الله". وفيما يأتي توضيح لهذه الأقسام.

١. **تفسير لا يعذر أحد بجهله:** وهو ما تبادر إلى الأفهام معرفة معناه من النصوص المتضمنة شرائع الأحكام ودلائل التوحيد، وكل لفظ أفاد معنى واحدا جليا يعلم أنه مراد الله عز وجل، فهذا القسم لا يلتبس تأويله؛ إذ كل أحد يدرك معنى التوحيد من قوله .(فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ)

:وأنه لا شريك له، وإن لم يعلم أن لا موضوعة في اللغة للنفي، وإلا موضوعة للإثبات، وأن مقتضى هذه الكلمة الحصر، ويعلم كل أحد بالضرورة أن مقتضى (وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ) .ونحوه طلب إيجاب المأمور به وإن لم يعلم أن صيغة افعل للوجوب.

٢. **تفسير تعرفه العرب:** وهو ما يرجع إلى لسانهم من اللغة والإعراب. فأما اللغة فعلى المفسر معرفة معانيها ومسميات أسمائها، ثم إن كان ما تتضمنه ألفاظها يوجب العمل دون العلم؛ كفى فيه خبر الواحد والاثنين، والاستشهاد بالبيت والبيتين. وإن كان يوجب العلم أي الاعتقاد، لم يكف ذلك؛ بل لا بد أن يستفيض ذلك اللفظ وتكثر شواهده من الشعر.

وأما الإعراب فما كان اختلافه محيلا للمعنى؛ وجب على المفسر تعلمه ليتوصل إلى معرفة الحكم. وإن لم يكن محيلا للمعنى لم يجب على المفسر تعلمه، لوصوله إلى المقصود بدونه.

٣.**تفسير يعلمه العلماء:** وهو الذي يغلب عليه إطلاق التأويل، وذلك باستنباط الأحكام، وبيان المجمل، وتخصيص العموم، وكل لفظ احتمل معنيين فصاعدا فهو الذي لا يجوز لغير العلماء الاجتهاد فيه اعتمادا على الدلائل والشواهد، دون مجرد الرأي.

٤. **تفسير لا يعلمه إلا الله عز وجل:** وهو ما يجري مجرى الغيوب، كالآيات التي تذكر فيها الساعة والروح، والحروف المقطعة، وكل متشابه في القرآن عند أهل

الحق فلا مساغ للاجتهاد في تفسيره، ولا طريق إلى ذلك إلا بالتوقيف بنص من القرآن أو الحديث أو إجماع الأمة على تأويله.

ب.التفسير بالمأثور وأنواعه

قسم بعضهم التفسير من حيث استمداده إلى ثلاثة أقسام: تفسير بالرواية ويسمى التفسير بالمأثور، وتفسير بالدراية ويسمى التفسير بالرأي، وتفسير بالإشارة ويسمى التفسير الإشاري. وسنتناول في هذا الدرس التعريف بالتفسير بالمأثور وبيان أنواعه.

التفسير بالمأثور. هو ما جاء في القرآن أو السنة أو كلام الصحابة رضي الله عنهم، بيانا لمراد الله عز وجل من كتابه، وهو أربعة أنواع:

١ . **تفسير القرآن بالقرآن**: مثاله ما جاء في قول الله تعالى(قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ)

:فإنها بيان للفظ (٠كَلِمَات)

من قوله عز وجل

(حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنزِيرِ)

على بعض وجوه التفاسير. وقوله عز وجل

فإنها بيان للفظمن قول الله عز وجل

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ ۚ أُحِلَّتْ لَكُم بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحِلِّي الصَّيْدِ وَأَنتُمْ حُرُمٌ ۗ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ)

٢. تفسير القرآن بالسنـة: ومثاله أن الرسول صلى الله عليه وسلم فسر ،الـظلم، بأنه ،الـشرك، فـي قوله عز وجل

(الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ)

وأيد تفسيره هذا بقوله عز وجل (وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ ۖ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ).

:وفسر الحساب اليسير، بالعرض، حين قال: (مَنْ نُوقِشَ الحِسَابَ عُذِّبَ) فقالت له أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: أو ليس قد قال الله تعالى (فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ (٧) فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا (٨) وَيَنقَلِبُ إِلَىٰ أَهْلِهِ مَسْرُورًا)

فقال صلى الله عليه وسلم: ذَلِكِ العَرْضُ [صحيح البخاري، كتاب الرقاق، باب من نوقش الحساب عذب] ففسر لها النبي صلى الله عليه وسلم ،الحساب اليسير،. وفي صحيح كتب السنة من ذلك شيء كثير.

وكلا هذين القسمين لا شك في قبوله؛ أما الأول فلأن الله تعالى أعلم بمراده من غيره وأصدق الحديث كتاب الله تعالى. وأما الثاني فلأن خير الهدي هدي سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ووظيفته البيان والشرح، مع أنا نقطع بعصمته وتوفيقه، قال الله تعالى. (بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ ۗ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ).

٣ . تفسير القرآن بما صح عن الصحابة رضي الله عنهم : تفسير الصحابي الذي شهد الوحي والتنزيل له حكم المرفوع، وقيده بعضهم بما كان في بيان النزول ونحوه مما لا مجال للرأي فيه، وإلا فهو من الموقوف.

وحجة ذلك: أن الصحابة رضوان الله عليهم قد شاهدوا الوحي والتنزيل، وعرفوا وعاينوا من أسباب النزول ما يكشف لهم النقاب، عن معاني الكتاب، ولهم من سلامة فطرتهم وصفاء نفوسهم وما يمتلكونه من الفصاحة والبيان، ما يمكنهم من الفهم الصحيح لكلام الله، وما يجعلهم يوقنون بمراده من تنزيله وهداه.

ومن أمثلة تفسير الصحابة رضي الله عنهم: أن ابن عباس رضي الله عنه، ذكر أن معنى قول الله عز وجل .بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ (١٥): أي: في شكّ من البعث [تفسير الطبري: ٣٤١/٢٢].

وقال في معنى قول الله تعالى .(وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإنسان وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إليه مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ ۝ إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ ۝ مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ۝)

جعل الله على ابن آدم حافظين في الليل، وحافظين في النهار، يحفظان عليه عمله، ويكتبان أثره» [تفسير الطبري: ٣٤٤/٢٢]

٤. تفسير القرآن بما نقل عن التابعين، ما ينقل عن التابعين فيه خلاف العلماء، منهم من اعتبره من المأثور لأنهم تلقوه من الصحابة غالبا، ومنهم من قال إنه من التفسير بالرأي، غير أن كتب التفسير بالمأثور قد ضمت كثيرا من أقوال التابعين في التفسير. ومن أمثلة ذلك: ما أورده الطبري رحمه الله في تفسير قول الله عز وجل (قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنْقُصُ الأرْضُ مِنْهُمْ)

عن مجاهد، قال: من عظامهم. وعن قتادة، يقول: ما تأكل الأرض منهم. وعن الضحاك، يقول: ما أكلت الأرض منهم ونحن عالمون به، وهم عندي مع علمي فيهم في كتاب حفيظ) تفسير الطبري: ٣٢٩/٢٢ (بتصرف).